يبتولون ذاق فلان البوس وانهم ذاقوا العذاب والضر شبه ما يدركون من اثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر والشبع واما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما غشى الانسان والتبس به من بعض الحوادث واما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف فلانه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكانه قيل فاذاقهما ما غشيهم من الخوف والجوع ثم ذكر بعده من علم المعاني والبيان ما يشهد لصحة ما قال وقال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله جوابه من وجوه • الاول ان الاحوال التي حصلت لهم عند الجوع نوعان احدهما ان المذوق هو فلما فقدوا الطعام صاروا كانهم يذوقوا الجوع • الثاني ان ذلك الجوع شديد كاملا فصار كانه احاط بهم من كل الجهات فاشبه اللباس فالحاصل انه حصل لهم في ذلك الجوع حالة تشبه المذوق وحالة تشبه الملبوس فاعتبر الله كلا الاعتبارين فقال فاذاقها الله لباس الجوع والخوف الا انه تعالى عبر عن التعريف بلفظ الاذاقة واصل الذوق بالفم ثم يستعار فيوضع موضع التعريف والاختبار تقول ناظر فلان وذاق ما عنده قال الشاعر

• ومن يذق الدنيا فاني طعمتها • وسيق الينا عذبها وعذابها •

ولباس الجوع والخوف ما ظهر عليهم من الظهور وشحوب اللون ونكهة البدن وتغيير الحال وكسوف البال كما تقول تعرفت سوء اثر الجوع والخوف على فلان وذقت لا تعرف الوجه الثالث ان يحمل لفظ الذوق واللبس على المماسة فصار التقدير فاذاقها الله مساس الجوع والخوف ثم قال تعالى بما كانوا يصنعون ولم يقل بما صنعت ثم انعم الله عز وجل عليهم بالنعمة العظيمة وهي ارسال محمد صلى الله عليه وسلم فكفروا به وكذبوه وبالغوا في ايذايه وارادوا قتله فاخرجه الله من بينهم وامره بالهجرة الى المدينة وسلط على اهل مكة البلاء والشدايد فالجوع والخوف كل ذلك بسبب تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخروجه من بين اظهرهم قوله عز وجل ولقد جاءهم رسول منهم يعني لاهل مكة محمد صلى الله عليه وسلم يعرفون نسبه ويعرفونه قبل النبوة وبعدها فكذبوه فاخذهم العذاب يعني الجوع والخوف وقتل القتل يوم بدر والقول الاول اولى لما تقدم في الاية وهم ظالمون يعني كافرون فكلوا مما رزقكم الله في المخاطبين في هذا قولان احدهما انهم المسلمون وهو قول جمهور المفسرين والثاني انهم المشركون من اهل مكة قال الكلبي لما اشتد الجوع باهل مكة كلم روساوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انك عاديت الرجال فما بال النسا والصبيان فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ان يحملوا الطعام اليهم حكاه الواحدي وغيره وعلى القول الاول هو الصحيح قوله عز وجل حلالا طيبا قال ابن عباس يريد الغنايم حلالا طيبا يعني ان الله احل لهذه الامة الغنايم وطيبها لهم ولم تحل لاحد قبلهم واشكروا نعمة الله يعني التي انعم بها عليكم ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم تقدم تفسير هذه الاية واحكامها في سورة البقرة فلم نعده هنا وقوله تعالى ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب يعني انكم تحلون وتحرمون لاجل الكذب لا لغيره فليس لتحليلكم وتحريمكم معنى وسبب الا الكذب فقط فلا تفعلوا ذلك قال مجاهد يعني البحيرة والسايبة وقال ابن عباس رضي الله عنهما يعني ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا وذلك ان العرب في الجاهلية كانوا يحلون اشيا ويحرمون اشيا من عند انفسهم وينسبون ذلك الى الله وهو قوله تعالى هذا حلال وهذا حرام يعني لا تقولوا ان الله امرنا بذلك فتكذبوا على الله لان وصفهم الكذب هو

افترا

افترا على الله تعالى ثم اوعد المفترين الكذب فقال تعالى لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون يعني لا ينجون من العذاب وقيل معناه لا يفوزون بخير لان الفلاح هو الفوز بالخير والنجاح ثم بين ان ما هم فيه من نعيم الدنيا يزول عنهم عن قريب فقال متاع يعني متاعهم في الدنيا متاع قليل فانه لا بقا له ولهم عذاب اليم يعني في الاخرة وعلى الذين هادوا يعني اليهود حرمنا ما قصصنا عليك من قبل يعني ما سبق ذكره وبيانه في سورة الانعام وهو قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الاية وما ظلمناهم يعني بتحريم ذلك عليهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون يعني انما حرمنا عليهم ما حرمنا بسبب بغيهم وظلمهم انفسهم نظيره قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم قوله تعالى ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة المقصود من هذه الاية بيان فضل الله تعالى وسعة مغفرته ورحمته لان السوء لفظ جامع لكل فعل قبيح فيدخل تحته الكفر وساير المعاصي وكل ما لا ينبغي فكل من عمل السوء فانما يفعله بالجهالة لان العاقل لا يرضى بفعل القبيح فمن صدر منه فعلا قبيحا من كفر او معصية انما يصدر عنه بسبب جهله لتقدير ما يترتب عليه من العقاب او لجهله بقدر معصيته فلهذا ثبت ان من فعل السوء انما يفعله بجهالة ثم ان الله تعالى وعد من عمل سوء بجهالة ثم تاب واصلح في المستقبل فان الله يتوب عليه ويرحمه وهو قوله تعالى ثم تابوا من بعد ذلك يعني من بعد عمل ذلك السوء واصلحوا يعني اصلحوا العمل في المستقبل وقيل معنى الاصلاح اي الاستقامة على التوبة ان ربك من بعدها يعني من بعد عمل السوء بالجهالة والتوبة منه لغفور يعني لمن تاب وامن رحيم يعني بجميع المومنين والتايبين قوله عز وجل ان ابراهيم كان امة حكى ابن الجوزي عن ابن الانباري انه قال هذا مثل قول العرب فلان رحمة وفلان علامة ونسابة يقصدون بهذا التانيث قصد التناهي في المعنى الذي يصفونه به والعرب توقع الاسما المبهمة على الجماعة وعلى الواحد لقوله تعالى فنادته الملايكة وانما ناداه جبريل وحده وانما سمي ابراهيم امة لانه اجتمعت فيه خصال الكمال وصفات الخير والاخلاق الحميدة ما اجتمع في امة ومنه قول الشاعر • وليس على الله بمستنكر • ان يجمع العالم في واحد • ثم للمفسرين في هذه اللفظة اقوال احدها قول ابن مسعود الامة معلم الخير يعني انه كان معلما للخير يأتم اهل الدنيا به • الثاني قول مجاهد انه كان مومنا وحده والناس كفار فلهذا المعنى كان وحده ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في زيد بن عمرو بن نفيل يبعثه الله امة وحده وانما قال هذه المقالة لانه قد كان فارق الجاهلية وما كانوا عليه من عبادة الاصنام • الثالث قال قتادة ليس من اهل دين الا وهم يتولونه ويرضونه • وقيل الامة فعلة بمعنى مفعول وهو الذي يؤتم به وكان ابراهيم عليه الصلاة والسلام اماما يقتدى به دليله قوله تعالى اني جاعلك للناس اماما وقيل انه هو السبب الذي حصلت لاجله امة ومن معه ممتازين عن سواهم بالتوحيد لله تعالى والدين الحق وهو من باب اطلاق المسبب على السبب وقيل انما سمي ابراهيم عليه السلام امة لانه قام مقام امة في عبادة الله قانتا لله يعني مطيعا لله وقيل هو القايم باوامر الله تعالى حنيفا مسلما يعني مقيما على دين الاسلام لا يميل عنه ولا يزول وقيل هو اول من اختتن وضحى واقام مناسك الحج ولم يك من المشركين يعني انه عليه الصلاة والسلام كان من الموحدين من صغره الى كبره شاكرا لانعمه يعني انه شاكر الله على نعمه التي انعم بها عليه اجتباه اي اختاره لنبوته واصطفاه لخلته وهداه الى صراط مستقيم واتيناه في الدنيا حسنة يعني الرسالة والخلة وقيل هي لسان الصدق والثنا الحسن على الله والقبول العام في جميع الامم وان الله حببه الى جميع الخلق فكل اهل الاديان يتولونه اليهود والمسلمون والنصارى ومشركوا العرب وغيرهم وقيل هو قول المصلي في التشهد اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم وقيل انه اولادا ابرارا على الكبر وانه في الاخرة لمن الصالحين يعني في اعلى

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)